اجتهادات
الأفكارُ الحديثةُ .. والجذور

هل يعنى الإيمانُ بأيٍ من الأفكار الحديثة، التى ظهرت فى أوروبا منذ عصرى النهضة والتنوير وانتشرت فى العالم، التخلى عن الجذور أو الانتماء؟ الجوابُ مُختلفُ عليه. هناك من يعتقدون أن ما يُسمونه وافدًا فى مجال الفكر يختلفُ عن ثقافتنا وتاريخنا وتقاليدنا، وأن فى تراثنا ما يُمكن أن نُجدَّده ونُطَّوره، أو حتى نكتفى به كما هو. وثمة، فى المقابل، من يرون أن الأفكار لا ترتبطُ بحدودٍ جغرافية، وأن تاريخ الفكر البشرى شهد موجاتٍ متواليةً من التفاعل والتأثير المتبادل. وفى بضعة تعليقاتٍ تلقيتُها على اجتهاد 3 مارس الجارى (قوة الروح) تعبيرُ عن كلٍ من الاتجاهين، وفى أحدها نقدُ شديدُ لما ورد فى هذا الاجتهاد عن مراجعة المفكرة الفرنسية سيمون فايل أفكارها الماركسية عندما اكتشفت أهمية المحافظة على الجذور، وسؤالاً عن كيفية عدم إدراك مثقفة ومناضلة بهذا الحجم أن البؤس الاجتماعى هو الذى قد يقتلعُ البائس من جذوره، وليست الأفكار التى تُثرى معارفه، خاصةً تلك التى تهدفُ إلى مواجهة هذا البؤس. وإذ لا يتسعُ المجالُ الآن لشرح رؤية سيمون فايل المتضمنة فى كتابها (التجذر), الذى ترجمه محمد عبدالجليل إلى العربية، ربما يجوزُ القول إن منهجَ ماركس وأفكارَه هى الأكثر قابلية لاكتساب طابعٍ محلى فى كل بلدٍ أو بيئةٍ اجتماعية0 ولكن اعتقادًا شائعًا فى أن الماركسية ضد الأديان جعلها عُرضةً للهجوم والشيطنة، خاصةً فى المجتمعات المُتدنية، كما حدث فى العالم العربى. والحالُ أنه ليس فى الماركسية منهج وأفكار أساسية ما يدلُ على أنها ترفضُ الأديان أو تنقضُها. فلم يكن ماركس منشغلاً بمسألة الدين، ولم يعمل عليها فكريًا وفلسفيًا. كما لم تكن هذه المسألةُ حاضرةً بقوةٍ فى الجدل العام فى أوروبا فى المرحلة التى سعى فيها إلى تقديم رؤيةٍ لمواجهة مظالم الرأسمالية، بغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف عليها. كلُ ما يُشارُ إليه فى هذا المجال هو عبارةُ (الدين

أفيون الشعوب) التى وردت فى مقدمة أحد أعماله المبكرة جدًا، وانتُزعت من سياقها, واتُخذت منطلقًا للهجوم على أفكاره كلها منذ مرحلة الحرب الباردة.